

## عودة إلى الشيخ الخالدي

مجلس آخر من مجالسه

للدكتور عبد الوهاب عزام

—→←—

حدثت قراءة « الرسالة » قبلاً عن الشيخ الجليل العلامة خليل الخالدي ، وذكرت طرفاً من علمه بالكتب العربية ومؤلفها ومواضعها من دور الكتب في البلاد الإسلامية كلها وفي أسبانيا وقد سمعت بقاء الشيخ صراراً من بعد في مصر والشام ووجدت معرفته بأثار دمشق مساجدها ومدارسها ومزاراتها ليست دون علمه بالكتب والمؤلفين

وقد شرف الشيخ حلوان منذ حين فساق الحديث إلى الكتب فأفاد وأمتع . فجنيت من حديثه هذه الثمرات :

قال إني في حيرة من أمر هذا الشريف الإدريسي مؤلف زهرة المشتاق . أعجب من رجل شريف يدخل في خدمة ملك سقلية والحروب الصليبية مستمرة ، ويكتب للافرنج عن البلاد الإسلامية فيصف لهم ثروتها وطرتها ومياها ، ويقول عن كنيسة المسيح : القبة الشريفة ، وعن صخرة بيت المقدس : الصخرة التي يعتقد فيها المسلمون

ولولا أني قرأت هذا الكلام في نسخة صحيحة نقلت عن نسخة بخط المؤلف وكانت في خزائن الموحدين - وهي اليوم في كتب السلطان محمود في استانبول - ما أخذت الرجل بهذا الكلام خشية أن يكون بريئاً منه والإدريسي في كتابه عالة على الإسطخري وابن خرداذبة ، والمهمذاني ، وابن حوقل ، وابن واضح

من بعد الصفحة الرابعة والستين . فيكون المعنى أنني أوافق بقينا عاكفين على التحقيق إلى النهاية

لو أنصفوني كما قلت لكفوني مؤونة كتابة هذا التعليق الذي اضطررت إلى نشره في ( الرسالة ) خدمة للأدب العربي وتاريخه ومؤلفاته ، وتقديراً من أن يقوم ( محمود مصطفى نان ) فيناقش الطبعة المشتملة الحساب . ومحملتي تبعة أغلاطها من الباب إلى المحراب ( دمشق ) المغربي

وسرنا في شباب الحديث حتى ذكرنا ابن الأثير صاحب المثل السائل فقال : أديب كبير ولكنه ليس ثقة - والشيخ ينقد المؤلفين على طريقة المحدثين - قال : وقد طمن فيه الوزير القفطي وهو وزير عالم ثبت ، ومن المؤلفين غير الثقات الفتح ابن خاقان صاحب قلند المقبان . طمن في ابن باجة بنير حق ، وابن باجة من أجل علماء الأندلس وفلاسفته ، وكان الفتح رجلاً يعيش في الخانات ، وقد جلدته القاضي عياض في الخمر ، وقد مدح هو عياضاً قليلاً خوفاً منه

وعياض عالم كبير له كتاب المشارق الذي أثنى عليه ابن الصلاح في أبيات منها :  
مشارق أنوار تجلت بسبته وذا عجب كون المشارق في النرب قلت : كان ابن الأثير معجباً بنفسه ولكن أدبه يشفع لهذا الإعجاب عندي

قال : ومن العلماء المجيبين بأنفسهم الأتقاني الفقيه مؤلف غاية البيان شرح الهداية ، وله شروح على أصول الأخصيكني . ومنهم الصفناني ، وله شرح على أصول نثر الإسلام البردوي وعلى الجامع الكبير . ومنهم عصام الدين وكتبه معروفة ولا سيما في بلاد الترك ، ولعل سبب هذا أن حفيده قدم إلى استنبول وأقام بها . وقد أهدى عصام الدين إلى السلطان سليمان القانوني حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة « أنوار التنزيل »

وقد رأيت في مكتبة بني قريمان في قرنية خط الأتقاني على كتاب الأصول للبدوي ، وهو نسخة قديمة كتبت سنة ٤٧٥ ، ومن هذا الكتاب نسخة بخط الأتقاني في استنبول . ورأيت في هذه المكتبة من نفائس الكتب كتاب غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري ، ما رأيت قط إلا فيها . والجزء الرابع من البخاري عليه خط الحافظ أبي الوقت الشجري ، وإليه وإلى أبي زيد

المروزي تنتهي روايات البخاري

ورأيت في مكتبة جلال الدين الرومي في قونية كتاب التمهيد لعبد الشكور السالي في العقائد ، وهو إمام كالماتريدي ونجم الدين النسفي . ورأيت في مكتبة صدر الدين القونوي كتاب الفتوحات المكية بخط المؤلف في سبعة وثلاثين جزءاً ، وفوائد ابن حبان في الحديث بخط ابن العربي ، ونصوص الحكم بخط صدر الدين . ورأيت هناك كتاب روح القدس لابن العربي عليه سمحات بخطه

بتكلم في نزول الله تعالى إلى السماء وقال : نزل كنزولى هذا (ونزل درجة من المنبر) .

قال : إن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية . والتحرير في الكتب كثير ولا يعول المتثبت إلا على النسخ الصحيحة . إن أكل الدين الباردي وعليها القارىء شرحا الفقه الأكبر لأبي حنيفة . واعتمدا على نسخة محرقة جاء فيها : « وأبواه صلى الله عليه وسلم مآنا على الكفر » . والعبارة الصحيحة : « مآنا على الفطرة » . والباردي هذا شيخ السيد الشريف الجرجاني وتلاميذ تسمى الأئمة الأصغرهانى الذى يقول بجواز الدور والتسلسل في الأمور العقلية وكثيراً ما يقع العلماء في الأوهام . ألا ترى صاحب الكشاف كيف يروى خرافات لإرام ذات الهام ؟ ...

ثم قال : إن الرغشرى أكثر الأخذ من كتاب الحجة لأبي على الفارسي وكتاب الرجاج في القراءات ومن تهذيب الأزهرى وقد عكف عليه ثمانى سنين في مدينة مرو ، ومنه أخذ كتابه الفائق ولم يصرح بهذا

ثم تكلم الشيخ على المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء ، وذكر الطحاوى من فقهاء الحنفية وأثنى عليه كثيراً وقال : إن قبر الطحاوى في القرافة وعليه قبة . وذكر قاضيخان وقال : رأيت إجازة بخطه دلت على ضعفه في المرية . ثم ذكر من المتأخرين ابن نجيم صاحب البحر وتلميذه الحصكى والشرنبلالى تلميذ الحصكى وقال : إن سبب شهرتهم أن قضاة المسكر كانوا يستفتونهم كثيراً ، وكان خاتمة هؤلاء المفتين الرملى صاحب الفتاوى

ثم تكلم عن كتب المتقدمين فذكر شرح القدورى ؛ قال : رأيت نسخة منه عليها خط الحصكى . وتكلم عن كتاب البسوط لمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وقال : هو ثلاث روايات : رواية أبي بكر خواهر زاده ويسمى البسوط البكرى ، ورواية الجوزجاني ورواية الحلواني . قال : وأما مبسوط السرخسى فهو شرح كافى الحاكم الشهيد الجامع لكتب محمد بن الحسن . قلت : يقال إن السرخسى أملى المبسوط وهو في السجن . قال : الذى أعرفه أن السرخسى ألف كتاب الأصول في قلعة أوزجند ، وقد رأيت نسخة منه بخط الملامة الكردي شيخ البراز أوطا : قال السرخسى في زاوية من حصار أوزجند . ١٥

عبد الوهاب هزام

« لسلامة »

وكتبا أخرى عليها خطه ، منها الأحكام الكبرى والسنن لعبد الحق الأشيبلى وهما في فقه الحديث ، وقد أهداه محي الدين للصدر القونوى . ورأيت فيها تفسير ابن برجان الأندلسى . ورأيت من مؤلفات الصدر الأجوبة النصيرية كتبها إجابة لمسلمين سؤاله عنها نصير الدين الطومى ، وهي تشهد بتعمق الصدر من العلوم والفلسفة

ورأيت في مكتبة السلطان سليم في قونية كتاب ابن ولاد بخط أحد علماء صقلية كتب سنة ٣٠٨ هـ .

وعرضت على الشيخ الملامة نسخة عندي من كتاب للنووى عليها أبيات كتب تحتها أنها بخط عبد الرحمن الجامى . فقال : لا شك أن هذا خط الجامى ، أنا أعرف خطه ، رأيت على كتب كثيرة وخطه جيد . ومن العلماء حسنى الخط الخيالى صاحب حاشية العقائد ، وملاً خسرو صاحب الدرر . وقد رأيت له كتاب المرأة في الأصول بخطه ، وعضد الدين ، والنووى ، وقد رأيت قطعة من شرح البخارى بخطه . وأنا أقلد خط النووى - ومن أحسن الناس خطاً الحافظ الصدقى الرمى مُسند الأندلس على الإطلاق ، وابن عاصم صاحب الماصمية التى كان يحكم بها عامة قضاة الأندلس والمغرب .

ثم انساق الحديث إلى الملك المعظم الأموى فقال إنه كان أعلم بنى أيوب له شرح على الجامع الكبير كان أعلم من صلاح الدين مع مكانة صلاح الدين في العلم ، وإنه كان يعد في درجة النووى أو فوقه . يقال إنه كان يحفظ التنبيه لأبي اسحاق الشيرازى في فقه الشافعى . وأبو اسحاق شيخ مذهب الشافعية في العراق وإمام الحرمين شيخه في خراسان

وكان المعظم يُجل ابن قدامة ويقوم له إن أدخل عليه وما كان يقوم لسيف الدين الأموى صاحب الأحكام لاشتغاله بالفلسفة ، وكان من درجة نثر الدين الرازى - ثم قال :

وكان الفخر ذا مكانة عظيمة عند خوارز شاه وبسببه رحل بها ، الدين والد جلال الدين الرومى عن خراسان

قلت : رأيت لابن تيمية طمناً في جلال الدين ؟ قال : نعم طمناً فيه وقى الفخر وقال لو أدركت الفخر لضربت به القضيبي قلت : قال ابن بطوطة إنه حضر ابن تيمية في دمشق وهو على المنبر

# خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

— — — — —

يقول الأستاذ : « وقد يداخل (الفرزدق) في كلامه وبما ظل في تراكيبه ، ويقدم ويؤخر ويتجاوز في استعمال الوحشي والغريب والإقواء ، وما هو أشبه باللحن ؛ وذلك لثقته بنفسه واعتماده على سليقته ولقساوة في طبعه . قال كردين : ( سقط الفرزدق شيء يتحن الرجال فيه عقولهم حتى يستخرجوه ) . سمع ابن أبي إسحق الحضري مرة ينشد :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف فقال له ابن أبي إسحق : « على أي شيء ترفع أو مجلف ؟ قال : على ما يسوءك وينوءك<sup>(١)</sup> ... »

والبيت (المجلف) من شواهد الكشاف في مكانين : « فشربرامنه إلا قليلاً منهم . وقرأ أبي والأعمش إلا قليل بالرفع ، وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً ، وهو باب جليل من علم العربية ؛ فلما كان معنى فشربرامنه في معنى فلم يطعموه حمل عليه كأنه قيل فلم يطعموه إلا قليل منهم ، ونحوه قول الفرزدق ( لم يدع من المال إلا مسحت<sup>(٢)</sup> أو مجلف ) كأنه قال : « لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف » وقال في سورة طه : « قرى<sup>(٣)</sup> ( فيسحتكم ) والسحت لغة أهل الحجاز ، والإسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ، ومنه قول الفرزدق ( إلا مسحتا أو مجلف ) في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه ... »

(١) أصله من الثل : ( ترك ما يسوءه وينوءه ) قال الميداني : « كان الحيوبي ذا يسار فلما حضرته الوفاة أراد أن يوصي فقيل له : ما نكتب ؟ فقال : اكتبوا : ترك فلان يعني نفسه ما يسوءه وينوءه ما لا يأكله ورثته ويبقى عليه وزره » أراد يسوءه وينوءه أي يهمله وقال ينوءه لأجل يسوءه قال الصحاح : ليزدوج الكلام كما يقال إنى لآبئه الفدايا والمشايا والفداة لا تجمع على فدايا

(٢) يروي مسحت بالرفع والتصب

وفي (الخصائص) : « قولهم ودع الشيء يدع إذا سكن فاندع متبوع متبوع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف فعنى لم يدع بكسر الدال لم يثبت ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه وتقديره لم يدع فيه ، وهذا أمر ظاهر »

وأورد الأستاذ أمثلة مما أشار إليه كردين ، وشغلت به الأئمة في القديم ، وقد اجتزأنا نحن من تلك الدواهي بواحدة ...

\*\*\*

الفرزدق هو — كما قال الأستاذ — في « صحة اللغة وفصاحة الأسلوب » وقد رويت القول من قبل . وأشعار أبي فراس مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ ، وأبياته في المصنفات اللغوية هي من أوائل الشواهد . فلو رجع إليها الفاضل عبد الله الصاوي الذي ( عنى بجمع ديوان الفرزدق وطبعه والتعليق عليه ) في شرح ( الأوابد ) في بيت الفرزدق :

لن تدرکوا کرمی بلوٹم أیکم وأوابدی بتتحل الأشعار ما كان قال : « شبه القصائد بأوابد الوحش » . وأوابد الوحش نُقِرَها ، ومثل هذا الشرح يذل البيت ويزيغ القارىء — فلو رجع إلى اللسان والأساس لوجد الأول يقول : « يقال للشوارد من القوافي أوابد . قال الفرزدق : لن تدرکوا ... وقافية شرود عائرة سائرة في البلاد » ووجد الثاني يقول : « أوابد الشعر التي لا تُشاكل جودة قال الفرزدق : لن تدرکوا ... وفي الصحاح : « يقال للشوارد من القوافي أوابد قال الفرزدق : لن تدرکوا ... » وفي التاج : « الأوابد القوافي الشرود مجاز . قال الفرزدق : لن تدرکوا ... »

ولو رجع العلامة اللغوي المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي إلى كتب الأدب واللغة ما كان قال في مجلته (الغنياء) السنة (٣) الصفحة ٤٨٥ — : « قال الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهارا أراد بقوله يصيح صيغة المتعدي من قولهم انصاح القمر ، فنقل المعنى إلى النهار كما قال البديع : فلما انصاح النهار بجانب ليلي ، ثم